

دمية القصر

قد كان يومَ الوغى ماضي السنين وإن ... حادَ المُنازلُ للأقرانِ لن يَحْدِ .
أَمْضَى وَأَجْرًا صَدْرًا مِنْ غَضَنْفَرَةٍ ... عَابِلِ الذَّرَاعِ شَدِيدِ البَطْشِ ذِي لَبِيدِ .
كَمْ مِنْ كَمِيٍّ غَدَا فِي رِبْقِ أَحْبَلِهِ ... فَأَحْسَنَ العَفْوِ عَنْهُ غَيْرَ مُضْطَهَدِ .
أَوْلَاهُ مِنْهُ نَوَالًا ثُمَّ أَعْتَقَهُ ... رَطَبَ اللِّسَانِ بِشُكْرِ العَتِيقِ والرَّغَدِ .
ومنها :

أَبَا شُجَاعٍ فَتَى الهَيْجَا وَفَارِسَهَا ... وَمُشْتَرِي الشُّكْرِ بِالإِنْفَاقِ وَالصَّفَادِ .
هَذِي بَنُو أُسَدٍ جَاءَتْ بِمُؤَيَّدَةٍ ... صَمَّاءَ بَائِحَةٍ هَدَّتْ ذُرًّا أُحْدِ .
سَطَّتْ عَلَى المَتَنَّبِيِّ مِنْ فَوَارِسِهَا ... سَبَّعُونَ جَاءَتْهُ فِي مَوْجٍ مِنَ الزَّرَادِ .
حَتَّى أَتَتْ وَهَوَّ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَاةٍ ... يَسِيرٌ فِي سِتَّةٍ إِنْ تَحْصَى لَمْ تَزِدِ .
كَرَّاتٍ عَلَيْهِ سِرَاعًا غَيْرَ وَانْدِيَّةٍ ... فغَادَرَتْهُ رَهِينَ التُّرْبِ وَالثَّأْدِ .
مِنْ بَعْدِ مَا أَعْلَمْتَ فِيهِمْ أُسْدِيَّتَهُ ... طَعْنَا يَفْرُقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالجَسَدِ .
فَاطْلُبْ بِثَأْرِ فَتَى مَا زِلْتَ تَعَضُّهُ ... دَرُّ كَلِّكَ مِنْ كَهْفٍ وَمِنْ عَضْدِ .
أَذَكِ العُيُونََ عَلَيْهِمُ أَيَّةً سَلَاكُوا ... وَضِيْقِ الأَرْضِ وَالأَقْطَارِ بِالرَّصَدِ .
شَرَّ دَهْمٌ بِجِيوشِ لا قِوَامَ لَهَا ... تَأْتِي عَلَى سَيِّدِ الأَقْوَامِ وَاللَّبِيدِ .
أَبُو الحَسَنِ عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدِ التَّهَامِيِّ .

هو وإن توج هامة تهامة بالانتساب إليها وطرزكم الصنعة بالاشتمال عليها فإن مكانه
لم يزل بالشام حتى انتقل من جوار بنيتها الأجلة الكرام إلى جوار ذي الجلال والإكرام .
وله شعر أدق من دين الفاسق وأرق من دمع العاشق كأنما روح بالشمال أو علل بالشمول فجاء
كنيل البغية ودرك المأمول .

حدثني القاضي أبو جعفر بن إسحاق البحائي C قال : حدثني أبو كامل نعيم بن المفرج
الطائي أن التهامي هذا كان في ابتداء أمره من السوق :

وقد كان يرمي عن مريرة قوسه ... بكالثلج تذريره خروق الغمام .
ويعلو كثيرا بالكهام مُنْشَدِشًا ... فِقَارَ قَطُوفِ ذِي ثَلَاثِ قَوَائِمِ .

ثم انتقل إلى بني الجراح يمتدحهم ويستضيء بهم ويقتدحهم . وكانت له همة في معالي
الأمر تسول له رئاسة الجمهور . فقص مصر واستولى على أموالها وملك أزمة أعمالها
وعمالها . ثم إنه غدر به بعض أصحابه فصار ذلك سبباً للظفر به وأودع السجن في موضع
يعرف بالمنسي حتى مضى لسبيله C . فمن محاسنه التي تعلق في كعبة الفصاحة قوله :

كن من لواحق عينيها على حذرٍ ... فإنَّ الحاظها أمضى من البتُّرِ .
أهتزُّ عندَ تمني وصلها طَرباً ... ورُبَّ أمنيَّةٍ أجلي من الظَّفرِ .
جني عليَّ وأجثي من مَراشفيها ... ففي الجاني والجناباتِ انقضى عُمري .
أهدي لنا طيفُها نَجداً وساكنهً ... حتى اقتنصنا طِباءَ البدوِ في الحَصَرِ .
فباتَ يخلو لنا من وجهها قَمراً ... من البراقعِ لولا كُلفةُ القَمَرِ .
وراءَها حرٌّ أنفاسي فقلتُ لها : ... هواي نارٌ وأنفاسي من الشَّسَرِ .
فزادَ دُرُّ الثَّنايا دَرُّ أدمُعِها ... فالتفتُ منتظماً منه بمنتَثِرِ .
فما نَكَرنا من الطَّيفِ الملمِّ بنا ... مِمَّنْ هَويناه إلا قلةَ الخَفَرِ .
ومن بدائعِهِ في هذه الرائيةِ قوله : .
لولاهُ لم يَقضِ في أعدائه قَلَمٌ ... ومجَلِبُ الليثِ لولا الليثُ كالطُّفْرِ .
ما صرَّ إلاَّ وصلتَ بيضُ أنصُلِهِ ... في الهامِ أو أطَّتِ الأرماحُ في الثُّغَرِ .
وغادرتَ في العِدا طاعناً يحفُّ بهِ ... ضربُ كما حَفَّتِ الأعكانُ بالسُّرَرِ .
قلتُ : هذا وا□ هو المعنى البيع والربيع المريع والتشبيه للائق والغرض الموافق وقد كان
يملكني الإعجاب بقول ابن المعتز : .
وتحتَ زنابيرِ شَدَدٍ عَقودَها ... زنابيرُ أعكانٍ معاقدُها السُّرَرِ